هذا العدل من جملة الاذواق بين الناس فهو يوافق قوماً ولا يوافق آخرين او كانه من جملة الاديان التي يرضى بها كل فريق على علاتها بحيث انك لو منعت الموت عن فريق وكان من جملة شروط دينه فهو يعدك ظالماً ثم كلما زدته عدلا زاد بالظلم شعوراً ولذلك يحسن بكل قوم ان يحكموا نفوسهم بنفوسهم لانهم كما يكونون يولى عليهم وليس العدل والظلم الا نسبيين لدى النفوس

اما غزوة الشرق للغرب فيقال انها ممكنة باربعة ملايين جندي صيني وياباني وكوري يكونون كلهم بقيادة اليابان كما ان اليابانيين يقولون ان حكمهم يكون اسد وسياستهم اصلح لانه ليس عندهم النفاق السياسي الاوربي السائد الان على اكثر الارض ولعلهم يكونون صادقين

خطرات افكار

٢

لعمرك هل يقوى الانسان بمفرده على منازلة زمانه ، وهل يكون دون موازرة غيره له ومساندته اياه ثابت الجأش ومشيع الجنان اذا غالته اغوال القدر ، وتحيفته نوازل الاحداث . ان المرء منا لعاجز عن تحصيل قوته اليومي بل الوقتي بنفسه فما بالك به اذا ألحت به حاجة فوق ما اعتاد ، ألا يكون ابعد عن تفريجها فيسمد سمود العاجز الذليل ويوطئ وطء القرار ، واذ خلقت النفوس البشرية ضعيفة محتاجة الى سد الازر بالمعاونة والمساعدة

كان اول ما عنوا به هو توثيق روابط الالفة بينهم وصرف عناية كل منهم الى مساعدة اخيه وبذلك عظم قدر الانسانية شيئاً فشيئاً حتى بلغت في القرن الرابع عشر « اي هذا القرن » اسمى مبالغ الرقي وتجلت اعمالها العظيمة كل التجلي . وقد افرد ابن خلدون في مقدمته باباً برهن فيه « ان الانسان مدني بالطبع » وبحث في ذلك كثيرون من علماء الشرق . ومما قاله الفيلسوف المغربي المشهور يوحنا رسكن « لا يرغب الناس في اراقة دمائهم من اجل بعضهم ولكنهم يعملون في تقوية مجموعهم لينفع بعضهم بعضاً » . اه

فعلى كل فرد منا حينئذ ان يجلس في غرفة مطالعته حيث يلقى من الاسفار ما يبوح له بسره ويستشيره في ما يتخالجه ويقول لذاته « ترى من ذا الذي اتخيره من القوم ليكون عضدي القوي ويدي اليمنى ينزع شجاي ويعاونني عند الشدائد » ثم يجيل فكره في صفحة المجتمع ويستنتج مما يعلمه من احواله نتائج تجعله يحسن الانتخاب . ولو امعن في الفحص عن اسرار ما يحيط به لوقف على امور يذهل لغرابتها ، ويرتجف فزعاً ورعباً مما حوته من الدهاء الشيطاني : يلقى الاغنياء وقد ثووا في مغاني الارتياش ، وتبوؤا منازل السعة والدثر ، فتطاولوا وتصلفوا وورمت انوفهم من العجب والتسحب ، يلتف حول كل منهم نفر قد اتخذوا المداهنة ذريعة يبتزون بها مال ذاك المترف الذي يعتبرهم كأنهم جارحة من جوارحه ويخالهم اصفياءه واخوانه ، وهو في الغالب ممن نفر العلم منهم فأوتوا حظ الحياة في مالهم ، ولم يكن له غير ان يقضي اوقاته بين التردد على الحانات ومجامع السفلة الاولى تربطهم به جامعة المقاصد البهيمية والخلال الدنيئة وان يجمع امره في كل ليلة على استباحة المحرمات بمعونة اولئك الاشرار ،

أو يقيم في داره فنزجاً (الفنزج يرادفه عند الغربيين كلمة « البالو - Ball » ٠) يدعو لمشاركته فيه ربات الجمال

واذ يرى تلك النفوس وقد تمثل فيها الشر وانتهى اليها اللؤم فيكره ان يكون له بها اي علاقة او صلة

ويلتفت لفتة أخرى فيرى اهل الطبقة الثانية وقد فشا في جلهم داء الاسراف فاركبوا بذا نفوسهم مركباً صعباً ، يبصرهم وهم كأنهم اموات لفرط ما انتزع من نفوسهم من معاني الحياة بتقليدهم الاعمى لتلك الفئة — فئة الاغنياء التي يدعوها الحكيم سبنسر « طائفة المذنبين » حتى صار الاب لا يعنى بتربية ابنه والوالده لذلك فلا يحفلون بفساده او صلاحه ، بنبوغه او قصوره ، وبات اي فرد منها وهو لا يعرف لكلمة « التضامن » معنى في معجم فكره وتصوره فيسوقه ذلك الى ان يوقظ رأيه ويأخذ حذره من مقارنتهم وملابستهم ، ويشعر نفسه شدة البغض للرذيلة والنقمة على ذويها ويكون بهذا ملماً باطراف ما يحوم حوله من النكبات واقفاً على اسرارها ومن حركها من مراقدها فيسهل عليه تركيب الدواء الناجع فيها ويستطيع ان يتقي سهم الشر الذي ينفذ اليه من قلوبهم الخبيثة بالقصو عنهم والحذر من مصاحبتهم

ثم ينظر اخيراً الى تلك النفوس التي معظمها هجره مجموع العالم فيلقى قلوباً بنيت عليها الفضيلة وشيد عليها العفاف ، قد جلاها صفاء النية وحسن السريرة ، وانبثق منها نور الصلاح والتقوى ، همها المحافظة على الشرف وتأييد العدل ، لا تتحول عن محبة من تصدقه الولاء ولا تهجره اذا خطب عراه بل ينمو عند ذاك شعور الاخلاص فيها وتزداد تمسكاً به ٠ فيجزم في

الحال بان الحب لا يكون عند ملوك المال ، ولا عند من درجوا على النقائص وكانت حياتهم في رجفان دائم ، ولا بين ضلوع الحمها التلصص وسودها الفساد ، ولكنه يوجد حيث يكون اباء النفس وعلو الهمة ومكارم الاخلاق حيث يكون الشمم والحرية وكرامة الاصل . فيدفعه دافع طبيعي بعد تلك الجولة الفكرية الى ان يحرص على تلك الارواح الشريفة الطاهرة ويسهر على منفعتها ويعتدها في منزلة من افرشوا معه حجراً واحداً ونجلته معهم أبوة ، ذاكراً قول الشاعر

تخير من الاخوان كل ابن حرة * يسرك عند النائبات بلاؤه

وقارن اذا قارنت حراً فانما * يزين ويزري بالفتى قرناؤه

وقول وليم شكسبير أحكم حكماء الانكليز « ضم اولئك الذين صادقتهم وتحققت اخلاصهم الى قلبك وعلقهم به باطواق من الحديد ، ولا تضع كل انسان حديث المعرفة بك موضعاً علياً فتعلق بيدك الاكدار »

المرء يعرف بقرينه وقد قيل في المثل « ان الطيور على امثالها تقع » والعاقل الاديب هو الذي يدع خياله يسيح في الامة التي يعيش بينها ويفلي عن حقيقة اخلاقها فلياً ينتهي به الى ان خير افرادها هم الذين جعلوا لواءهم المحافظة على الشرف ومساعدة الضعيف وتخليد الاثر والنظر الى من يخلصون لهم نظر المحترم لشعورهم والمحل لهم في منزلة الاخوة والاقارب . ومتى تأكد ذلك وثبت لديه اضحى من ألزم ما يدعوه اليه ناموس الوجود والفطرة البشرية ان يجعلهم المتفردين بصداقته والا يصطفي سواهم ، ولا يخادن الا هم ، ويحافظ على مودتهم وولائهم ، حتى يحس بالمعنى الحقيقي للهناء الدنيوي ،

وينال تجلة الناس له بمصاحبته لاولئك الفضلاء فكل شيء ومثيله لا يفترقان، وشبيه الشيء مجذوب اليه

ويطربني قول ابن مسكويه في آداب الصداقة « يجب عليك متى حصل لك صديق ان تكثر مراعاته وتبالغ في تفقده ولا تستهين باليسير من حقه عند مهم يعرض له او حادث يتحدث به ، فاما في اوقات الرخاء فينبغي ان تلقاه بالوجه الطلق والخلق الرحب وان تظهر له في عينك وحركاتك وفي هشاشتك وارتياحك عند مشاهدته اياك ما يزداد به في كل يوم وكل حال ثقة بمودتك وسكوناً اليك ويرى السرور فيها اذا لقيك ، فان التحفي الشديد عند طلعة الصديق لا يخفى وسرور الشكل بالشكل امر غير مشكل ، ثم ينبغي ان تفعل مثل ذلك بمن تعلم انه يؤثره ويحبه من صديق او ولد او تابع او حاشية وتثني عليهم من غير اسراف يخرج بك الى الملق الذي يمقتك عليه ويظهر له منك تكلف فيه ، وانما يتم لك ذلك اذا توخيت الصدق في كل ما تثني به عليه ، والزم هذه الطريقة حتى لا يقع منك توان فيها بوجه من الوجوه ، وفي حال من الاحوال ، فان ذلك يجلب المحبة الخالصة ويكسب الثقة التامة ، ويهديك محبة الغرباء ومن لا معرفة لك به » . اهـ

القاهرة احمد زكي ابو شادي